نَقْدُ قَصِيدَةِ الْبُرْدَةِ

للشيخ السيد الإمام الحافظ العلامة عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

نسخه مرة أخري ووضع حركته وأجاز به أمير كظم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حدد عقول بعض العلماء العارفين ليميز الحق والباطل. اللهم صل وسلم وبارك على رسولك المصطفى محمد أفطن الناس وأتقاهم وعلى آله المطهرين تطهير كما صليت وباركت على خليلك إبراهيم وعلى آله في العالمين إنك حميد مجيد.

أما بعد، فهذا الكتاب مما أريد تقديم على إخوان من الصوفيين في التعريف بأن النقد العلمي من روح الثقافة الإسلامية وما نرث عن العلماء الراسخين التراث القديم وفي إزالة استغرابهم على أن النقد من عمل الوهابيين الذين لهم عداوة على الأولياء أو حدثاء الأسنان في السلوك العلمي.

فالشيخ السيد الإمام العلامة الحافظ الناقد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ممن لا يستصغره الصوفية واشتهر عندهم بقدره الأعلى في بحر علمه ومتانة حجته ورسوخ منهجه وحسن صلاحيته وهيبة إمامته. وبين يدي القارئ كتاب يحسن له تقديم في شروع معرفة فكرة الشيخ ونقده العلمية في إصلاح طرفه المائل إليه وتجديد البحوث العلمية فيكون ذلك مميزا عما سلك الآخرون من الصوفيين، بل فيمن نسب إلى أهل البيت فلا يكاد أن نجد من هو مثله في زمانه وفي اليوم. لعل هذا الكتاب ينفع بمن أحبه ويريد انفتاع به. ولله موفقنا لما يرضاه.

وأنتزع هذا الكتاب عن موسوعة العلامة المحدث المتفنن سيدي عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني لأن هذا الكتاب المخصوص لا يوجد في صيغة PDF ويصعب لمن أراد قراءته البحث في موسوعة ضخم المجلدات. وأحب التيسير لهم ووضعت الحركات له من أجل سهولة القراءة والرواية لمن يرغب فيه.

وأني أجزت بهذه الرسالة جميعَ من قرأها وسمع قراءتها ودرسها ودرَّسها وذاكرها بكل حرف فيها من أولها إلى خاتمها راجعا إلى النص العربي الذي نسختُه هنا فلا تصح هذه الإجازة بالرجوع إلى غير ما نسختُ هنا كالرجوع إلى النص في موقع شبكة أو كتاب آخر أو بالرجوع إلى النص غير العربي كالنص المترجم. انتبه أيها الذي يرغب فيه!

وأروي هذا الكتاب عن محمود سعيد ممدوح، عن المؤلف. فقال:

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ نَظْمِ الْأَدِيبِ الشَّاعِرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الْبُوصِيرِيِّ –بِكَسْرِ الصَّادِ– الصَّنْهَاجِيِّ. وَهِيَ مِنْ أَبْدَعِ مَا نَظَمَ فِي الْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ ضَمَّتْ جَمَلًا مِنَ السِّيرَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَالْفَضَائِلِ النَّبَوِيَّةِ فِي أُسْلُوبٍ عَذْبٍ رَائِقٍ. وَقَدْ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا مُنْذُ أَنْشَأَهَا نَاظِمُهَا إِقْبَالًا كَبِيرًا. فَلَا يُحْصَى كَمْ مِنْ شَارِحٍ لَهَا وَمُخَمِّسٍ لِأَبْيَاتِهَا وَنَاظِمٍ عَلَى مَنْهَاجِهَا.

وَانْتَقَدَهَا كَثِيرُونَ لِأَبْيَاتٍ مِنْهَا رَأَوْا فِيهَا غُلُوًّا وَمُبَالَغَةً، لَكِنَّهُمْ بَالَغُوا فِي الْانْتِقَادِ وَغَلَوْا فِيهِ أَيْضًا حَتَّى زَعَمُوا أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى شِرْكٍ صَرِيحٍ. وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ عَلَى الْأَبْيَاتِ الْمُنْتَقَدَةِ. وَهِيَ فِي نَظَرِي أَرْبَعَةً وَأُبَيِّنُ مَا يُجَابُ بِهِ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلَا تَعَسُّفٍ. أَمَّا الشِّرْكُ، فَقَدِ احْتَرَزَ عَنْهُ النَّاظِمُ فِي قَوْلِهِ:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ ❁ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا وَاحْتَكِمِ

فَهَذَا الْبَيْتُ يَنْفَى الشِّرْكَ عَنْ أَبْيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَيُوجِبُ تَأْوِيلَ مَا أَوْهَمَ الشِّرْكَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ.

وَأَوَّلُ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ قَوْلُهُ:

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ ❁ لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرِجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

قَالَ الْمُنْتَقِدُونَ: هَذَا يَرُدُّهُ الْقُرْآنُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦]. أَفَادَتْ الْآيَةُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَكَلَامُ النَّاظِمِ صَحِيحٌ وَفِي الْقُرآنِ مَا يُؤَيِّدُهُ. وَالْمُنْتَقِدُونَ وَاهِمُونَ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِعِبَادَتِهِ وَخَلَقَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِأَجْلِهِمْ وَجَعَلَ الدُّنْيَا مَكَانًا لِعِبَادَتِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾، أَيْ لِأَجْلِكُمْ ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الْبَقَرَة: ٢٩] وَجَعَلَ الْآخِرَةَ لِجَزَائِهِمْ. فَلَوْلَا الْمُكَلَّفُونَ مَا خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْمُكَلَّفِينَ. وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ يُخَاطِبُوا سَيِّدَ الْقَوْمِ بِمَا يَشْتَرِكُ مَعَهُ الْقَوْمُ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ. فَصَحَّ قَوْلُهُ: "لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ" عَلَى قَاعِدَةِ الْعَرَبِ فِي مُخَاطَبَةِ السَّادَةِ وَالْأُمَرَاءِ وَذَوِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ. وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَاتٌ وَجَّهَ فِيهَا الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّ الْأُمَّةَ تَشْتَرِكُ مَعَهُ وَهِيَ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

وَثَانِي الْأَبْيَاتِ قَوْلُهُ:

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا ❁ وَالرّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

هَذَا خَطَأٌ لَا شَكَّ فِيهِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ لَيْسَ فِيهِمْ خَادِمٌ وَمَخْدُومٍ. وَلَيْسَ تَفْضِيلُ بَعْضُهُمْ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمَفْضُولُ خَادِمًا لِلْفَاضِلِ، بَلْ هُمْ سَوَاءٌ فِي النُّبُوَّةِ. وَفِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ الْمُتَوَاتِرِ ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَحْيَى وَعِيسَى وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَغَيْرَهُمْ حِينَ تَلَقَّوْهُ، حَيَّاهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِقَوْلِهِ: "مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ". وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتِ أُمَّهَتِهِمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ" الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ. وَقَدْ أَصْلَحْتُ هَذَا الْبَيْتَ بِقَوْلِي:

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا ❁ وَكَرَّمُوكَ لِفَضْلٍ فِيكَ مِنْ قِدَمِ

وَطُبِعَتِ الْبُرْدَةُ بِهَذَا الْإِصْلَاحِ فِي دُبَيٍّ بِالْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَمِمَّا يُنَاسِبُ هَذَا مَا شَاعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ الْبُرَاقَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَجِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آخِذٌ بِرِكَابِهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ وَبَخْسٌ بِمَقَامِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِقْدَامٌ عَلَى نَقْصٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي حَقِّهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التَّكْوِير: ١٩-٢١]. فَجِبْرِيلُ رَسُولٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا. وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، أَخَذَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ أَفْضَلِيَّةَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُخْطِئٌ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعْرِفُ قَدْرَ جِبْرِيلَ وَبِفَضْلِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ أَخِي جِبْرِيلَ. وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ حُذَيْفَةَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ، قَالَ: "وَاللَّهِ مَا زَايَلَا الْبُرَاقُ حَتَّى فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَرَأَيَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَوَعْدَ الْآخِرَةِ أَجْمَعَ. ثُمَّ عَادَا عَوْدَهُمَا عَلَى بِدْئِهِمَا". وَفِي مُعْجَمِ الطَّبَرَانِيُّ الْأَوْسَطِ" عَنْ أَبِي لَيْلَى: أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُرَاقِ فَحَمَلَهُ عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْهِ. الْحَدِيثَ.

وَمِنَ الْغُلُوِّ الْمَذْمُومِ أَيْضًا زَعْمُهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، تَأَخَّرَ جِبْرِيلُ وَقَالَ: "لَوْ تَقَدَّمْتُ خُطْوَةً، لَاحْتَرَقْتُ". وَهَذَا كَذِبٌ قَبِيحٌ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُفَارِقِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَحْظَةً وَاحِدَةً كَانَ مَعَهُ فِي سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَفِي غَيْرِهَا. بَلْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النَّجم: ١٣-١٤]. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلَهُ سِتَّمِائَةِ جَنَاحٍ". وَلَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى مَرَّةً وَمَرَّة أُولَى فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النَّجم: ١٣-١٤].

وَمِنَ الْغُلُوِّ الْقَبِيحِ جِدًّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَتَلَقَّى الْوَحْيَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ فَيَأْتِي بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكُشِفَ الْحِجَابُ مَرَّةً فَإِذَا الَّذِي يُلْقِى إِلَيْهِ الْوَحْيَ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مِنْكَ وَإِلَيْكَ".

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَنِيٌّ بِفَضَائِلِهِ الْعَدِيدَةِ عَنْ هَذَا الْكَذِبِ السَّخِيفِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ بِمُعْتَقَدِهِ. وَالْعِيَاذُ بِاللَّهُ.

وَثَالِثُ الْأَبْيَاتِ قَوْلُهُ:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ❁ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

وَهَذَا عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ شِرْكٌ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ. فَإِنَّ قَوْلَهُ:

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي ❁ إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

قَرِينَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِي الشَّفَاعَةِ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ. وَهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ. فَإِنَّ النَّاسَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَلْجَأُونَ إِلَى آدَمَ لِيَشْفَعَ لَهُمْ فِي الْإِرَاحَةِ مِنْ طُولِ الْمَوْقِفِ وَكَرْبِهِ فَيَعْتَذِرُ وَيَقُولُ نَفْسِي وَيُحِيلُهُمْ إِلَى نُوحٍ فَيَعْتَذِرُ وَيَحِيلُهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَعْتَذِرُ وَيُحِيلُهُمْ إِلَى مُوسَى فَيَعْتَذِرُ وَيُحِيلُهُمْ إِلَى عِيسَى فَيُحِيلُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: "أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا". فَيَذْهَبُ وَيَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُنَادَى: "يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ تَسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تَشَفَّعْ". هَكَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ النَّاظِمُ.

وَالْإِسْرَاعُ بِالْإِكْفَارِ مَعْصِيَّةٌ كَبِيرَةٌ. رُبَّمَا تُؤَدِّي إِلَى كُفْرِ صَاحِبِهَا.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَصْلَحْتُ هَذَا الْبَيْتَ بِقَوْلِي:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ يُشَفَّعُ فِي ❁ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

يُشَفَّعُ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ وَالْفَاءُ مُشَدَّدَةٌ، أَيْ مَا لِي مَنْ تَقَبَّلَ شَفَاعَتَهُ فِي سِوَاكَ. وَهَذَا تَوْضِيحٌ لِكَلَامِ النَّاظِمِ وَلَيْسَ إِصْلَاحًا لَهُ.

وَرَابِعُ الْأَبْيَاتِ قَوْلُهُ:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ❁ وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

وَفِي هَذَا مُبَالَغَةٌ لَا دَلِيلَ لَهَا وَيَظْهَرُ أَنَّ النَّاظِمَ اسْتَنَدَ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى حَدِيثِ جَابِرٍ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ". وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ جَاءَ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ نُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَالْمَلَائِكَةَ وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ بِطُولِهِ ابْنُ الْعَرَبِيُّ الْحَاتِمِيُّ فِي كِتَابِ تَلْقِيحِ الْأَذْهَانِ وَمِفْتَاحِ مَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ وَالدِّيَارَبَكْرِيّ فِي تَارِيخِ الْخَمِيسِ مِنْ تَارِيخِ أَنْفُسِ نَفِيسٍ فِي السِّيرَةِ. وَقَالَ السُّيُوطِيُّ فِي الْحَاوِي: "إِنَّهُ غَيْرُ ثَابِتٍ" وَهُوَ تَسَاهُلٌ قَبِيحٌ، بَلْ الْحَدِيثُ ظَاهِرُ الْوَضْعِ وَاضِحُ النَّكَارَةِ وَفِيهِ نَفَسٌ صُوفِيٌّ حَيْثُ يَذْكُرُ مَقَامَ الْهَيْبَةِ وَمَقَامَ الْخَشْيَةِ إِلَى آخِرِ مُصْطَلَحَاتِ الصُّوفِيَّةِ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّ السُّيُوطِيَّ عَزَاهُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ مَعَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي مُصَنَّفِهِ وَلَا تَفْسِيرِهِ وَلَا جَامِعِهِ. وَأَعْجَبَ مِنَ هَذَا أَنَّ بَعْضَ الشَّنَاقِطَةِ صَدَّقَ هَذَا الْعَزْوَ الْمُخْطِئَ فَرَكَّبَ لَهُ إِسْنَادًا مِنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ إِلَى جَابِرٍ. وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا أَصْلَ لَهُ. فَجَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَرِئَ مِنْ رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ. وَأَوَّلُ مَنْ شَهَّرَ هَذَا الْحَدِيثَ ابْنُ الْعَرَبِيُّ الْحَاتِمِيُّ. فَلَا أَدْرِي عَمَّنْ تَلَقَّاهُ وَهُوَ ثِقَةٌ. فَلَا بُدَّ أَنَّ أَحَدَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَزَهِّدِينَ وَضَعَهُ.

وَمِثْلُ هَذَا الْمَوْضُوعِ أَيْضًا مَا رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرْفُوعًا: "كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفِ عَامٍ". وَحَدِيثُ: "لَوْلَاكَ مَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ". وَكُتُبُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ مَلْأَى بِهَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ وَأَصْبَحَتْ عَقِيدَةً رَاسِخَةً

فِي أَذْهَانِ الْعَامَّةِ. وَأَرْجُو أَنْ يُوَفِّقَنِي اللَّهُ إِلَى تَأْلِيفِ حَوْلِ الْمَولِدِ النَّبَوِيِّ خَالٍ مِنْ أَمْرَيْنِ شَائِنَيْنِ الْأَحَادِيثِ الْمَكْذُوبَةِ وَالسَّجْعِ الْمُتَكَلِّفِ الْمَرْذُولِ.

وَالشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ لَعَلَّ النَّاظِمِ اسْتَنَدَ فِيهِ إِلَى حَدِيثِ اخْتِصَامِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَنَقَلَ تَصْحِيحَهُ عَنِ الْبُخَارِيِّ وَفِيهِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "رَأَيْتُ رَبِّي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي. فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا فِي صَدْرِي فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ". الْحَدِيثَ. لَكِنَّهُ لَا يُفِيدُ مَا ادَّعَاهُ النَّاظِمُ مِنْ أَنَّ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ بَعْضُ عُلُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فَفِي هَذِهِ الدَّعْوَى مُبَالَغَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ. وَقَدْ أَصْلَحْتُ هَذَا الْبَيْتَ بِقَوْلِي:

فَإِنَّ جُودَكَ فِي الدُّنْيَا وَضَرَّتِهَا ❁ وَفِي كِتَابِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ وَلَدِ آدَمَ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَجْوَدُهُمْ أَيْضًا بِمَا لَهُ مِنْ شَفَاعَاتٍ فِي أُمَّتِهِ. وَكِتَابُهُ الْقُرْآنُ فِيهِ عُلُومُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَهُوَ مُعْجِزَتُهُ الْكُبْرَى. وَكَيْفَ لَا وَهُوَ كِتَابٌ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَقَالَ فِي حَقِّهِ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٨].

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي الْمَدْحِ مَذْمُومٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٧١]. وَأَيْضًا فَإِنَّ مَادِحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ يَكُونُ كَاذِبًا عَلَيْهِ فَيَدْخُلُ فِي وَعِيدِ "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

وَلَيْسَتِ الْفَضَائِلُ النُّبُوَّةُ مِمَّا يَتَسَاهَلُ فِيهَا بِرِوَايَةِ الضَّعِيفِ وَنَحْوِهِ لِتَعَلُّقِهَا بِصَاحِبِ الشَّرِيعَةِ وَنَبِيِّ الْأُمَّةِ الَّذِي حَرَّمَ الْكَذِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ الْعَظِيمَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ وَالِدُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ بِكُفْرِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَعَلَى هَذَا، فَمَا يُوجَدُ فِي

كُتُبِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ وَقِصَّةِ الْمِعْرَاجِ مِنْ مُبَالَغَاتٍ وُغُلُوٍّ لَا أَسَاسَ لَهُ مِنَ الْوَاقِعِ يَجِبُ أَنْ تُحْرَقُ لِئَلَّا يُحْرِقَ أَصْحَابَهَا وَقَارِئُوهَا فِي نَارَ جَهَنَّمَ. وَنَسْأَلُ اللّٰهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.